

# □ محاضرات مقدمة لطلبة السنة الثالثة ليسانس تحت عنوان

## البيئة والتنمية المستدامة

□ من اعداد وتقديم

□ الدكتورة : بورحلي كريمة

□ قسم علم الاجتماع

□ السنة الجامعية 2025-2026

الرصيد : 01

□ المعامل : 01

□ الحجم الساعي خلال السداسي : 22 ساعة و30د.

□ الحجم الساعي الاسبوعي 1ساو30د (محاضرة)

□ طريقة التقييم : امتحان 100٪.

### أهداف التعليم

1. التعرف على المفهوم السوسيوولوجي للبيئة
2. التعرف على أهمية التنمية المستدامة
3. التعرف على أهمية المقاربة الجيلية للقضايا البيئية

□ المعارف المسبقة المطلوبة :

□ معلومات عامة في علم اجتماع البيئة

□ القدرات المكتسبة : فهم الظواهر البيئية وإدراك العلاقة الارتباطية بينها وبين الإنسان

□ محتوى المادة :

1. محاضرة 01 : مدخل مفاهيمي

مفاهيم عامة (البيئة والتنمية ، والتنمية المستدامة ....)

2. محاضرة 02 : علاقة الانسان بالبيئة
3. محاضرة 03: الابعاد الاجتماعية والثقافية لدراسة البيئة
4. محاضرة 04 : الاتجاهات النظرية والسوسيولوجية لدراسة البيئة .
5. محاضرة 05 المشكلات البيئية

## مدخل عام :

برز موضوع البيئة والتنمية المستدامة منذ مطلع القرن العشرين كانشغال جديد نجح في حيازة اهتمام المجتمع الدولي، نتيجة لتبعات الثورة الصناعية ومواكبة التطور علمي والتكنولوجي في مختلف ميادين الحياة، هذا ما انعكس سلبا على مسألة استغلال الموارد الطبيعية بالطريقة التي تم استنزافها شكل خطر على نحو هدد استدامتها ومس بحق الأجيال اللاحقة خاصة في الموارد الناضبة والأساسية على رأسها الثروة الحيوانية والمياه العذبة.

ونتيجة التلويث المستمر والمتزايد والتعدي الصريح على نظم الطبيعة، وتغيير آلياتها الطبيعية في عديد المناطق المتاخمة للسكان هذه الأسباب وغيرها أدرك المجتمع الدولي بوضوح أهمية حماية البيئة باعتبارها شرط الاستدامة، ومن ثم عملت الهيئات على تسطير جملة من آليات الحماية، بدءا بعقد العديد من المؤتمرات وإبرام اتفاقيات دولية وإقليمية ذات الصلة، ودعمت جهود الحماية بسن قوانين وتشريعات والتوعية البيئية في اطارها المؤسساتي والمتخصص .

ومن ثم تعد هذه المادة العلمية أحد أوجه هذه الحماية من خلال التعريف بأساسات التنمية البيئية وأطرها القانونية ومبادئها الأساسية، بما يفضي الى تحقيق جزء من التزامات الدولية في شأن الحماية والوقاية بدءا بخلق فكر واعي لدى الطلبة، والذي يركز على فهم المبادئ والأساسيات وتشكيل قاعدة معرفية، من خلال الاحاطة بكل من تعاريف البيئة الفرق بينها وبين الطبيعة ،معاني الاستدامة والتنمية المستدامة ،أوجهها ،الأطر النظرية التي أسست لهذا الطرح ،كما الحديث عن أساس العلاقة الموجودة بين كل من الإنسان وبيئته ،أهم المشكلات المواجهة ،لنعرج على بعض القضايا البيئية التي تربعت على ساحة الأمم في العصر الحالي وبرزت للعيان على غرار الأمن البيئي والتغيرات البيئية الحالية، ونذكر بعض التجارب الدولية في التنمية المستدامة والالتزامات الدولية في ذات الشأن .

## 1. محاضرة أولى : مدخل مفاهيمي

### مفاهيم عامة (البيئة ، التنمية ، والتنمية المستدامة ....)

#### مقدمة :

يعرف المجتمع الدولي في الوقت الحاضر مشاكل التنمية وحماية وتحسين البيئة البشرية وقد أعطت اهتماما أولويا في اطار الأمم المتحدة والهيئات الدولية الأخرى ،نتيجة تعرض بيئتنا البرية والبحرية والجوية لمختلف الأخطار بفعل الأنشطة البشرية والتي زادت حدتها مع التغيير في خريطة السيطرة العالمية على مناطق الثروات والحروب الجيوسياسية والأمنية التي استنزفت الأخضر واليابس، وأصبحت تهدد الحياة على كوكب الأرض، حيث يرفع الخبراء في مجال البيئة تقارير صادمة تجسد التدهور البيئي غير المسبوق، نتيجة تفعيل سياسات اقتصادية وعسكرية وتكنولوجية متسارعة، هدفها الحقيقي بسط السيطرة على مختلف الثروات التي تحتاجها الدول لسد احتياجاتها التصنيع والتسلح وتوفير السلع والغذاء لملايير البشر الذي تتزايد مطالبه الاستهلاكية كل يوم.

ونتيجة لهذا الوضع المفرط، فقد بات تفعيل مبدأ التنمية المستدامة مطلبا وضرورة لكل الأمم على رأسها الجزائر التي ما فتأت تواكب تطلعات الأمم التي تسعى لغد أفضل، ومن ضمن هذه المساعي تجسيد لمخرجات المؤتمرات التي تقر بضرورة بسط الجهود من أجل تفعيل ثلاثية الحماية المرتبطة بالتوعية البيئية والحماية القانونية والتعليم، ومن ثم خلق مواطن واع ومسؤول في بيئة سليمة وصحية.

ويعد مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة الإنسانية الذي انعقد سنة 1972م البداية الحقيقية للاهتمام بهذه العلاقة، اذ اصدر "مؤتمر استوكهولم" وثيقة دولية تتضمن مبادئ العلاقات بين الدول ومخرجات التوصيات التي تدعو كافة البلدان الأعضاء والمنظمات الدولية إلى التحلي بروح المسؤولية واتخاذ التدابير اللازمة، من أجل حماية البيئة وانقاذ البشرية من الكوارث الطبيعية والمصطنعة ، كما العمل على تطوير هذا المبتغى، حيث تلاه مؤتمر "البيئة والتنمية " الذي أشتهر بمؤتمر قمة الأرض 1992 (ضم 178 دولة وحضره أكثر من مائة من رؤساء الدول والحكومات ) واستهدف حماية كوكب الأرض وموارده ومناخه، ووضع سياسة للنمو العالمي والقضاء على الفقر مع المحافظة على البيئة في أجنده تعزيزا لمبتغى الاستدامة.

ومن هنا سنت الجزائر على اعتبارها أحد الأعضاء جملة من القوانين والتشريعات المتعلقة بحماية واثمين البيئة من خلال المصادقة على عديد الاتفاقيات والمعاهدات في هذا الاطار ما جعلها تتحمل تكاليف الالتزامات المعلنة

وسنت قانون حماية البيئة 10-03 في اطار التنمية المستدامة<sup>1</sup> وأتبعها بجملة من القوانين والمراسيم التنفيذية التي ساهمت في تامين هذا المسعى . ومن جملة الأهداف التوعوية والتربوية التي يسعى هذا المقياس الى تحديده نوجزه عبر محاور مفصلة على شكل محاضرات وبداية نعرض على فهم المعنى العام والتخصصي للبيئة والتنمية المستدامة.

## أولا : مفهوم البيئة

بالنظر الى المعاني العديدة لمصطلح البيئة فقد تباينت التعاريف لدى الباحثين كل حسب رؤيته وتخصصه، حيث اتفقت معاجم اللغة العربية على أن لفظ البيئة مشتقة من "بؤأ" وهي المكان والمحيط أو المنزل المستقر فيه الذي يتخذه الانسان أو الحيوان مقرا لإقامته والحياة فيه بكل ما فيه من الظروف (كمال الدين حسن البتانوني) وتمثل البيئة بهذا المفهوم الحيز الجغرافي ذات خصائص معينة من مناخ وتضاريس ومجموعة من الموارد العائلة للكائن الحي. (حسين رشوان ، ص 18).

والبيئة بالمعنى العام هي كوكب الأرض على حسب قول بعض العلماء والتي تضم :

- المجال الصخري: يمثل الكيان المادي للأرض من تربة ومعادن وخلافه .
  - المجال المائي: يتكون من المحيطات والبحار الموجودة على كوكب الأرض وكذا المساحات المائية الأخرى من بحيرات وانهار وخلافه .
  - الغلاف الجوي: يتكون من الغلاف الغازي المحيط بالأرض.
  - الغلاف الحيوي: الطبقة التي تضم مختلف الأحياء وهي مجموعة العناصر الحيوية التي تقدمها الأغلفة الثلاثة الأخرى في حالة تبادل مستمر تؤثر في بعضها البعض في علاقات جذب وطرد تعرف بالتوازن واللاتوازن، تضمن الاستقرار والتغيير بحسب طبيعة وقيمة المؤثرات في رقعة جغرافية محددة .
- وتعرف البيئة في دائرة المعارف الجغرافية الطبيعية بأنها "المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ويقوم فيه بعملية الانتاج ويحتوي على مواد حية وغير حية، وتتحكم فيه العوامل الاجتماعية والاقتصادية". وتبين من مفهوم البيئة بأنها النظام الذي يعيش ويعمل ويتمتع فيه الإنسان، حيث يشمل العوامل الفيزيائية والبيولوجية التي خلقت الظروف الطبيعية والاجتماعية وحتى غير الطبيعية التي تحيط بالإنسان.
- وبعبارة أخرى هي كل الظروف التي تحيط بالإنسان تؤثر فيه ويؤثر فيها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . وفي ضوء ذلك فالبيئة كما جاء في اعلان مؤتمر ستوكهولم 1972

<sup>1</sup>.الجمهورية الجزائرية الشعبية :الجريدة الرسمية ، القانون رقم 03 -10 المؤرخ في 20/07/2003 المتعلق بحماية البيئة في اطار التنمية المستدامة جريدة الرسمية العدد 43 .

## "هي كل شيء يحيط بالإنسان" "Every Thing Around the Man"

ويستخدم لفظ البيئة **Environment** المصطلح الفرنسي للدلالة على مجموعة الظروف الطبيعية للمكان، من هواء وماء وأرض والكائنات الحية المحيطة بالإنسان.

أما اللفظ الانجليزي فيعني "مجموعة الظروف المحيطة التي تؤثر على النمو والتنمية"، ومن هنا فالبيئة بمفهومها العام الوسط أو المجال المكاني أو الاطار الذي يعيش فيه الانسان، ويحصل منه على مقومات حياته من كساء ومأوى وغذاء ويتأثر به ويؤثر فيه.

وعليه نلاحظ اختلافا واضحا بين مصطلح البيئة والطبيعة، حيث تعتمد البيئة في أصل بنائها على الهيئة التي يتكون عليها الشيء، أي أنها تضيف الى فكرة الطبيعة مظاهر جديدة ومصطنعة. ومن ثم تصنيفها الى صنفين أساسين: بيئة طبيعية (لا يتدخل الانسان فيها) وبيئة مصنعة أو فيزيقية (يتدخل الانسان في تغيير ملامحها من تشييد للمباني والطرق والمنظمات.....وغيرها).

ومن كل ما سبق يمكن القول أن البيئة هي الوسط الذي يحيط بالإنسان بكل مفاهيمه التي يتأثر بها ويؤثر فيها فتستجيب له أو يقاومها أو يتفاعل معها، هذا الأثر المتبادل بين الانسان وبيئته يتفاوت تبعا لمكوناته وثقافته وقيمه ومعايير سلوكه، حيث تنعكس كل هذه الاعتبارات على صحته ورفاهيته وعلاقاته، ومن هنا فهي تشمل الجانب العام والخاص لحياة الفرد في رقعة جغرافية ترتبط بعلاقات اقتصادية واجتماعية وتشمل ممارسات سلوكية محضة، تتأثر فيما بينها.

### ثانيا: مفهوم التنمية

من المفاهيم التي يمكن أن تناقش على عدة أصعدة، في حين تفهم على حد قول سعد الدين ابراهيم "بأنها انبثاق ونمو كل الإمكانيات والطاقة الكامنة في كيان بشكل كامل وشامل ومتوازن سواء كان هذا الكيان هو فرد أو جماعة أو مجتمعا"، وحسبه لابد أن تنطوي على شرطين أساسين، الأول هو ازالة كل المعوقات التي تحول دون انبثاق الامكانيات الكامنة، والثاني هو توفير كل الترتيبات المؤسسية التي تساعد على نمو هذه الإمكانيات الإنسانية الى أقصى حدودها (مريم محمود مصطفى 1989، 20)

كما وتعرف التنمية "بأنها العملية أو مجموع العمليات المرسومة والمخطط لها تخطيطا سليما بهدف إحداث تغيير اجتماعي وتحقيق نمو مستمر في الناتج القومي، يؤدي الى تحسين المستوى المعيشي للأفراد."

تعرف كذلك "بالتغيير المخطط والمقصود بهدف تحسين الحياة وتطويرها بمجتمع ما للوصول الى خيره ورفاهيته". هذا التغيير يتضمن كل أشكال النمو المادي والمعنوي والسلوكي، والتغيير في الطبيعة والسلوك يهدف الى الرفاهية وتحقيق جودة الحياة بالمعنى الايجابي للنمو، بما يشمل الاستغلال الامثل للموارد الطبيعية والمادية والبشرية لتحقيق العدالة التوزيعية للمردودات التنموية المتزايدة نتيجة الرخاء الاقتصادي و الرفاه الاجتماعي والرضا النفسي للسواد الأعظم من السكان .

ويرى رفيق أشرف حسونة أن للتنمية معنيين ""عام ومعنوي"" ويمكن تحديد في المجال السوسيولوجي على أنه عملية مستحدثة تؤثر في الركيزة التي تقوم الإنسان للمحافظة على قدراته في التنبؤ بالنسبة للبيئة، ومن خلال ما سبق يمكن استنباط عناصر التنمية على النحو التالي :

- التنمية مفهوم معنوي لعملية ديناميكية يستهدفها المجتمع ممثلا في أفراد.
- جوهر العملية يركز على طريقة التوجيه وحجم ونوعية الموارد المتاحة، والطاقت الفردية المستغلة في ذلك.
- مكوناتها عبارة عن سلسلة من التغييرات البنائية والوظيفية التي يعتمد احداثها، بهدف الوصول إلى تغيير شامل ومتكامل.
- تسعى التنمية إلى تحقيق الرفاهية الشاملة والتغيير البناء دون الضرر بالبيئة المحيطة بالأفراد.
- تسعى إلى وضع سياسات اجتماعية واقتصادية لتحقيق التوازن بين الإنسان و البيئة .
- كل هذه العناصر تهدف في مجملها الى احداث تغييرات جوهرية وهيكلية في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، تحقق بموجها حياة كريمة ومستوى أحسن لعيش الأفراد.

### ثالثا: مفهوم التنمية المستدامة Sustainable Development

تعتبر التنمية المستدامة جزء من التنمية الشاملة تضاف لها اعتبارات بيئية، حيث ظهر المصطلح مع مخرجات مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية الذي انعقد في "ريودي جانيرو" بالبرازيل في سنة 1992 و الذي حظي بدعاية كبيرة، واهتماما متزايدا من قبل المؤسسات و المجتمعات الدولية و الجماعات البيئية على وجه الخصوص. ونتيجة للتسارع الرهيب في شبكة النشاطات الإنسانية وآثارها على المحيط الطبيعي الذي وصل الى مستويات من الاستنزاف الرهيب، وبالعودة الى جملة التعاريف، فقد عرفت التنمية المستديمة، "بأنها عملية تطوير تدمج الاعتبارات البيئية في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية لتلبية احتياجات الحاضر دون استنزاف الموارد أو الإضرار

بقدرية الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها". حيث تركز على التوازن بين البيئة والنمو المستدام، مستهدفة القضاء على الفقر، وحماية التنوع البيولوجي، وتغيير أنماط الإنتاج غير المستدامة.

لكن التبع التاريخي لظهور مصطلح، Sustainable Development نجد تعدد المفردات التي تداولت تعريب هذا المصطلح من قبيل التنمية المتواصلة الموصولة، المستديمة، القابلة للإدامة، وأخيرا المستدامة، عبر تقرير اللجنة العالمية عن البيئة والتنمية المعنون "مستقبلنا المشترك" The WCED سنة 1987م

" World Commission on Environment and Development " وهذه اللجنة التي اشتهرت باسم رئيسها "جرو هارلم برانتلاند" رئيسة وزراء النرويج، وقد عرفت " عملية للتغيير يتناغم فيها استغلال الموارد وتوجهات الاستثمار ومناحي التنمية التكنولوجية وتغيير المؤسسات، ويعزز كلا من إمكانات الحاضر والمستقبل للوفاء باحتياجات الإنسان وتطلعاته. (بلقاسم سلاطينية ، 2004 ، 168)

كما عرفت أيضا : هي تنمية الموارد و المجتمعات بشكل يحقق أكبر منفعة أو عائدا للأجيال مع المحافظة على تلك الموارد للأجيال القادمة، و تشير إلى أن "الموارد الطبيعية المتاحة لنا ليست ملك لنا و حدنا فقط تركها لنا الآباء و الأجداد و تقع علينا مسؤولية تركها لأولادنا و أحفادنا في حالة جيدة ، و إن لم نستطع أن نحسن استغلالها فلا يجب أن نتسبب في تدهورها و تدميرها".

كما تعد عملية تغيير يكون فيها استغلال الموارد و اتجاه الاستثمارات و التطور التكنولوجي و التغيير المؤسسي أيضا في حالة انسجام، و تعمل على تعزيز إمكانية الحاضر و المستقبل لتلبية الحاجات والمطامح الإنسانية، لذلك يجب أن توجه سياسات التنمية الاقتصادية و الاجتماعية نحو تحقيق النمو الاقتصادي و استغلال الموارد، و تجنب الأضرار البيئية بقدر الإمكان كما أن عملية التنمية المستديمة لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق التخطيط و إدارة البيئة و الموارد الاقتصادية البشرية و الطبيعية على حد السواء.

## المحاضرة الثانية : علاقة الانسان بالبيئة

تعد البيئة النظام الذي يضم جملة من المتغيرات المرتبطة فيما بينها في نظام متوازن وبديع ،وتعرف بأنها النظام الذي يشمل العوامل الفيزيكية والبيولوجية التي خلقت الظروف الطبيعية وغير الطبيعية والاجتماعية التي تحيط بالإنسان، وتؤثر فيه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، عن طريق شبكة من العلاقات والتبادلات التي تصور الديناميكية المتواجدة على كوكب الارض، بما يجعل لهذه الحياة معنى ومغزى خلقها الله وسخرها لرفاه بني آدم.

حيث تعتمد على توازنات ومكونات تضمن بقاء الانواع، وتوفر وسط متناغم للعيش، وفي هذا الاطار فان الحديث عن العلاقة بين الانسان والبيئة تظهر في الجزم بكون الانسان جزء أساسي وأهم المخلوقات على الاطلاق في سلسلة التنوع البيولوجي، حيث لا يمكن بأي معنى أن نعيد لها للتكافؤ ،أي أن الانسان جزء من البيئة والبيئة خلقت وهيئت لضمان وسط ملائم لتحقيق المغزى من الوجود.

من منطلق أن الطبيعة هيئت لاحتواء هذا الكائن على خلاف ما يصرح به الغرب باعتبار الانسان جزء من السلسلة الغذائية الحيوانية ، ولكن تغير العلاقة التي ساد فيه التأثير السلبي على مكونات البيئة والقوانين التي وضعت لاستنزاف ثرواتها بالشكل الذي حقق نمو متسارع امتلك فيها الانسان تقنيات علمية وتقنية عالية سخرها لتطويع الطبيعة لا كن الانانية البشرية أخلت بالعلاقة الايجابية بينه وبين يئته في كثير من المناحي.

وأوجد كما من العلاقات الجانبية التي أظهرت العجز في شبكة المبادلات بين الاصلاح والاستغلال المجحف خلق تأثيرات سلبية على كل ما هو طبيعي وأوجد كما هائلا من المشكلات التي باتت تهدد الصحة العامة والتوازنات الطبيعية في كثير من المجالات منها الانظمة البيئية الرئيسية التي حافظت على توازنها لعقود من الزمن.

وأصبحنا نشهد مستويات كبيرة من التلوث والتهديم الذي بات يمس امداد الافراد بالغذاء وضرورات الحياة منها الثروة الحيوانية والنباتية غير المعدلة جينيا والثروة المائية غير الملوثة. و الصحية.

وعليه يمكن القول أن الاهتمام بالبيئة يقترن بالاهتمام بالفعل الإنساني و المتغيرات التي تؤثر في توجيه هذا الفعل توجيهها، سليما يسهم في الحفاظ على البيئة وحمايتها، يصحبه حماية الافراد من المخاطر التي قد تترتب على تدميرها أو التعدي الصريح على مواردها، ومنه جاءت التشريعات لحماية هذا الجزء في اطار منظم ومكفول قانونا مع تغير خارطة العالم الجيوسياسية والحروب التي دمرت وتدمر البنى التحتية والقرارات السيادية للدول .

وعليه يمكن القول أن الانسان يتواجد دائما في علاقة ديناميكية تحكمها طبيعة البيئة و قدرات المجتمع و أفرادهِ وسلوكاته اتجاه كل ما يحيط به سواء أفراد أو مكونات الطبيعة على اختلافها أي علاقة تغير مستمر.

وبالعودة الى التراث النظري استحوذت محاولة تفسير العلاقة بين البيئة و الإنسان و المجتمع على اهتمام العلماء ، و اختلفت الآراء و ظهرت مدارس و اجتهادات فكرية اختلفت و جهات تحليلها لهذا الواقع، وقد تدرجت مراحل التسلسل التاريخي لعلاقة الإنسان بالبيئة منذ ظهوره على سطح الأرض، حيث حاولت بعض المدارس تفسير هذه العلاقة بين الإنسان و البيئة. من خلال أولى الدراسات حيث لاحظ Hippocrates عام 420 ق م الفروق بين سكان الجبال ذو القامة الطويلة والبنية القوية حيث وصفهم بالشجاعة والإقدام عكس سكان السهول الجافة وشبه الجافة الذين هم على النقيض من ذلك .

كما و اشار أرسطو عام 222 ق م الى أثر البيئة في حياة السكان وكيف كان سكان الشمال الاوروي البارد يتميزون بالجرأة والشجاعة فاحتفظوا بحريتهم ولكن تنقصهم الخبرة الفنية والتنظيم السياسي، عكس سكان آسيا فهم أكثر خبرة ومهارة ولكنهم أقل شجاعة كما وربط سترابون بين أثر التضاريس والمناخ من ناحية وظهور قوة روما من ناحية أخرى .

في حين أظهرت العديد من الدراسات العلاقة بين كل من البيئة الطبيعية وطبائع الناس ما جاء في كتابات ابن خلدون في ميزة أصحاب البدو والمناطق الصحراوية الساخنة الذين يمتازون بالعصبية والتعصب على خلاف سكان المناطق الباردة والتي يمتاز أصحابها بالتبذل وكثير من الدراسات والكشوف الجغرافية التي ربطت بين البيئة الطبيعية وطبائع الناس ، حتى جاء عصر النهضة وهاجم بعض المفكرين "مثالية الاغريق" ، ورأى ببيكون أنه يجب على الانسان استخدام معرفته لإخضاع الطبيعة لسيطرته وتسخيرها لمنافعه وهكذا أظهر مبدأ السيطرة على الطبيعة في الحضارة الغربية منذ ذلك الوقت (رشوان ،ص 88، 2006) .

وفي العصر الحديث ظهرت عدة نظريات تربط بين البيئة والمناخ والتربة وتأثيرها على الانسان وربطوها بالسلوك والطباع وسنحاول التفصيل أكثر في جزء المدارس التي فسرت هذه العلاقة بين البيئة والمجتمع.

### محاضرة 03: الأبعاد الاجتماعية والثقافية لدراسة البيئة

لا يمكن دراسة الإبعاد الاجتماعية والثقافية للبيئة بمعزل عن دراسة أبعاد التنمية ، حيث تقرر الدراسات أن التنمية المستدامة هو مصطلح اقتصادي اجتماعي أُممي، رسمت به هيئة الأمم المتحدة خارطة للتنمية البيئية والاجتماعية والاقتصادية على مستوى العالم، هدفها الأول هو تحسين ظروف المعيشية لكل فرد في المجتمع، وتطوير وسائل الإنتاج وأساليبه، وإدارتها بطرق لا تؤدي إلى استنزاف موارد كوكب الأرض الطبيعية، حتى لا نحمل الكوكب فوق طاقته، ولا نحرم الأجيال القادمة من هذه الموارد، (تلبية احتياجات الجيل الحالي دون إهدار حقوق الأجيال القادمة)، ودون الإفراط في استخدام الموارد الطبيعية المتبقية على كوكبنا.

وفي الحديث عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي يمكن أن توضح العلاقة القائمة بين كينونات البشر في بيئة طبيعية ذات علاقات اجتماعية قائمة مبنية على ثقافة موروثية في زمن كانت لوسائل الاتصال الأثر المحدود ،أما حاليا فإن طبيعة الارتباطات تختلف والتأثيرات متداخلة بين ضرورة توفير الاحتياجات الفردية للشعوب ما تعرف بالتنمية كمطلب وضرورة ، وبين ما يعرف بالتنمية المستدامة التي أضحت أكثر من ضرورة من أجل ضمان حق الاجيال اللاحقة ،وعليه يتم دراسة هذه العلاقة في تداخلها مع أبعاد التنمية المستدامة التي تتمثل في :

#### أولا : البعد الاقتصادي :

تهدف التنمية الاقتصادية الى تحقيق حصة متساوية لاستهلاك الفرد من الموارد الطبيعية خاصة بعد التفاوت الكبير في حجم الاستهلاك من هذه الموارد بين الدول النامية، والدول المقدمة ، ومنه فالتنمية المستدامة تهدف الى تحسين مستوى الطاقات الصديقة للبيئة، والتوجه نحو الاقتصاد الأزرق المعتمد على النشاطات المتصلة بالبحر كالصيد مثال، أو الاقتصاد الأخضر للحد من أخطار التلوث البيئي، وخفض انبعاث الغازات الدفيئة بالإضافة الى تحميل الدول الصناعية المسؤولية عن التلوث وإلزامها بضرورة معالجة أثاره الضارة، ومنه فالبعد الاقتصادي يهدف أساسا الى حماية النظم الطبيعية وتوفير سبل تحقيق نوع من المساواة للوصول الى الفرص الاقتصادية بشكل عادل. كما تهدف التنمية الى تحويل الأموال من الانفاق لأغراض عسكرية الى الانفاق على الاحتياجات التنموية الاقتصادية المحلية، والوطنية والتي تستدعي تكاثف الجهود البشرية والتعاون الدولي .

## ثانياً: البعد الاجتماعي

تهدف التنمية الاجتماعية الى تحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير ظروف معيشية ملائمة للجميع، كالتغذية المتكاملة، والعمل المناسب لكل فئة في المجتمع بالإضافة الى الحرص على جودة التعليم وإشراك المواطنين في اتخاذ القرارات، وذلك عن طريق اعتماد النمط الديمقراطي التشاركي في الحكم، والذي يعتبر القاعدة الأساسية للتنمية البشرية المستدامة، في تحقيق أكبر نسبة من هدف عام وهو العمل على انصاف الأجيال الحاضرة، دون التعدي على حقوق الاجيال اللاحقة وذلك من خلال التوزيع العادل للثروة عن طريق خلق منظومة ضريبية عادلة تراعي الأحوال الاجتماعية للشعوب، بالإضافة الى إرساء نظام متساوي قائم على توفير الحماية الاجتماعية والتأمين الصحي دون اعتبارات عرقية أو دينية .

## ثالثاً: البعد البيئي

إن كثيراً من المصادر الطبيعية التي تسخر في خدمة التنمية الشاملة في بلادنا تتناقص مصادرها باستمرار، فهي (غير متجددة)، وخاصة مصادر الطاقة والمياه والمواد الأولية التي يتضاعف استهلاك العالم لها بشكل مضطرد منذ الثورة الصناعية، بينما ظل الاعتقاد الخاطئ السائد بأن الأرض هي مصدر لا ينضب للثروات، وموردٌ لطاقة لا محدودة أو غير ناضبة .

لكن جرس الانذار دق بالخطر، وذلك عندما أكدت تقارير الخبراء في اللجنة الدولية لتغير المناخ، أن أنشطة الإنسان هي المسؤولة عما وصلت إليه الأخطار على مستقبل البشرية برمتها، من تلوث للهواء والانبعاثات الغازية في الغلاف الجوي وارتفاع حرارة الكرة الأرضية، ومظاهر ذوبان الجليد في القطبين، والذي يصاحبه ارتفاع منسوب مياه البحار مما يهدد بكوارث طبيعية بالغة الخطورة على المدى المتوسط والبعيد.

ذلك يعني أن المسؤولية في كل تلك المخاطر تقع على عاتق أنماط التنمية السائدة التي نستخدمها. لذا فقد استنفرت جهود الأمم المتحدة وعدد كبير من المنظمات الإقليمية والوكالات الدولية المتخصصة والمنظمات غير الحكومية، والدول بما فيها الجزائر لمواجهة مهمة التصدي لهذا الواقع، وتبني تطبيق أهداف التنمية المستدامة نحو إقامة مجتمع عالمي إنساني متضامن لمواجهة كل التحديات العالمية، والقضاء على الفقر، تغيير أنماط الانتاج والاستهلاك في المصادر غير المستدامة، وحماية الموارد الطبيعية وحسن إدارتها ، ومنع تدهور البيئة العالمية، وتراجع التنوع البيولوجي والتصحر، ومعالجة تلوث المياه والهواء والبحار وكل اشكاله وتأثيراته المتداخلة.

كما ويهدف البعد البيئي الى حماية البيئة من الضغوطات البشرية من خلال العمل الجاد على الحد من الآثار الضارة للأنشطة الإنتاجية على الوسط الطبيعي وترشيد استهلاك الطاقة، والموارد الطبيعية خاصة المياه والموارد غير المتجددة كالبترول والغاز والمعادن مع السعي الى تطوير وتبني مصادر بديلة للطاقت المتجددة كإعادة تدوير النفايات واستعمال التكنولوجيات الصديقة للبيئة ، كما احتساب الآثار المحتملة على البيئة وساكنها من المشاريع الاقتصادية ذات التأثير البعيد الامد من تموضع المصانع و مصبات النفايات ومخرجات عملية الانتاج وغيرها على غرار المفارغ العمومية والأنشطة التي تحدث الضوضاء بنسب مرتفعة تلهما تأثيرات جانبية على الصحة العامة .

#### رابعا :البعد التكنولوجي

تلعب التكنولوجيا سواء على الصعيد المعلوماتي أو الاتصالي أو الصناعي دورا مهما في تعزيز التنمية المستدامة من خلال عمل مختلف التقنيات على تطوير وتحسين أداء القطاعات الصناعية في العالم، و التي تستعمل هذه التكنولوجيات المتطورة في كونها صديقة للبيئة تعرف بالتكنولوجيات النظيفة، غير ملوثة للبيئة تكون قادرة على تقليص استهلاك الطاقة والموارد الطبيعية الى أدنى الحدود .

ومن هنا فالعلاقة بين التنمية المستدامة والبيئة ترتكز على حقيقة تفادها أن استنزاف الموارد الطبيعية التي تعتبر ضرورة في أي نشاط زراعي أو صناعي سيكون لو آثار ضارة على التنمية و الاقتصاد بشكل عام، لدى فإن أول بند في مفهوم التنمية المستدامة هو محاولة موازنة بين النظام الاقتصادي و النظام البيئي دون استنزاف الموارد الطبيعية مع مراعاة الأمن البيئي.

لدى كان يجب اعتبار التنمية إحدى وسائل الارتقاء بالإنسان، ولكن ما حدث هو العكس تماما حيث أصبحت التنمية وسيلة استنزاف الموارد البيئية و إيقاع الضرر بها و إحداث التلوث، ووصفها بالتنمية الاقتصادية وليست تنمية بيئية لسبب وجيه وهو استفادتها من الموارد البيئية وتسخيرها لخدمة اقتصاد الدول مما أدى الى بروز عدة مشكلات نستعرضها لاحقا.

لكن العلاقة تعد علاقة تكاملية ويمكن القول أن العلاقة بينهما هي علاقة تكاملية ، فالتنمية المستدامة هي تحريك لعجلة التنمية من خلال الاستغلال العقلاني والرشيد للبيئة ، كما تعمل البيئة على توفير الأرضية المناسبة والمحيط الجيد لتحريك عجلة التنمية الاقتصادية ، لكن الشرط الأساسي هو الاستغلال العقلاني والرشيد من أجل ضمان مستقبل الأجيال القادمة من هذه الثروات .

## محاضرة 04 : الاتجاهات النظرية والسوسيولوجية لدراسة البيئة .

### 1. المدرسة الحتمية (Determinism)

يطلق عليها اسم المدرسة البيئية ، تذهب هذه المدرسة إلى أن الإنسان كائن سلبي إزاء قوى الطبيعة، حيث تعطي للطبيعة الوزن الأكبر في مجال العلاقة بين الإنسان و بيئته، و تؤمن بأن الإنسان مسيرا و ليس مخيرا ، حيث أن البيئة لها قوة ذات تأثير حتي على الكائنات الحية وعلى عقلياتها و أنشطتها، ويقوم الفكر الحتمي على أساس واضح و هو أن الإنسان يعيش في بيئة تؤثر فيه تأثيرا كبيرا ، وعليه أن يتكيف معها و يعيش على ما تجود به من موارد

كما تؤكد المدرسة الحتمية للبيئة على أن المنظومة البيئية هي العامل الوحيد في نشأة و تشكيل الثقافة والنظم الاجتماعية ، وأن الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية مردها إلى الاختلافات المتباينة والظروف البيئية والجغرافية. ومن رواد هذه المدرسة "هيبوقراط" و"أرسطو"، فقد ربطا بين المناخ و طبائع الشعوب وعاداتهم، وظهر الاتجاه الحتمي في "مقدمة ابن خلدون" في العصور الوسطى ، فقد بين آثار اختلاف البيئات في حياة سكانها و ربط بين المناخ و طبائع الشعوب

ومن مؤيديها أيضا "فيكتور كزن" حيث قال في مقولته الشهيرة "أعطني خريطة البيئة ومعلومات كافية عن موقعها ومناخها ومواردها الطبيعية، وبإمكاني على ضوء ذلك أن أحدد لكم أي نوع من الإنسان يمكن أن يعيش في هذه البيئة و ما هي نشاطاته الاقتصادية".

فالواقع أن ما قرره المدرسة الحتمية قد ينطبق بشكل كبير على مختلف أشكال الحياة النباتية و الحيوانية، ولكنه أقل انطبعا على الحياة الإنسانية، فالإنسان أقل الكائنات خضوعا للبيئة و كلما تقدم العلم و تطورت التكنولوجيات كلما زادت درجة التحرر من تلك الحتمية.

### 2. المدرسة الإمكانية Possibilism:

هي مدرسة تناهض المدرسة الحتمية، و تتلخص فلسفتها في أن الإنسان ليس مجرد مخلوق سلبي غير مفكر ، خاضع تماما لمؤثرات و ضوابط البيئة الطبيعية ، ولكنه قوة ايجابية فعالة و مفكرة، وذا خاصية ديناميكية قادرة على التغيير و التطور،

وتؤمن هذه النظرية بحرية الإنسان في الاختيار، فالبيئة لا تحتوي على ضروريات أو حتميات وإنما تقدم جملة من الاختيارات، والإنسان بمحض ارادته يختار منها ما يتلاءم مع قدراته وطموحاته وتقاليده، وتذهب هذه المدرسة أيضا

إلى أن قدرات الإنسان العقلية ساعدته على تشكيل حضارة مادية و لا مادية وعلى التحكم في المكونات البيئية، فكم من بيئة لم تمتد لها يد الإنسان بالتعديل أو التغيير، أي أنه سيد البيئة والمسيطر عليها فهو الذي يحدد نمط استغلاله لموارد بيئته، ويتضح من هذا أن الإنسان هو الذي يروض البيئة التي تعطيه القوت و تمنحه الفرصة. لتحقيق النمو الفكري و الخلقي و الاجتماعي و الثقافي... ، وقد أضى في هذه المرحلة قويا نتيجة لاختراعاته، إي خلق بيئة ذات سمات يرجع الكثير منها إلى فعله الإرادي.

و الواقع أن المدرسة الإمكانية قد غالت بعض الشيء في أن البيئة هي التي تقدم للإنسان عدد من الاختيارات ، وهو يختار منها ما يتلاءم مع قدراته وأهدافه، وهو المسيطر على البيئة و القادر على تحديد نمط استهلاكه لمواردها، إلا انه في الواقع يقف عاجزا أحيانا عند مواجهة المشكلات البيئية وتسخير معظم الموارد لصالحه ، ولو كان الأمر كذلك لتجانست الأنشطة البشرية بين البيئات الطبيعية المتشابهة.

### 3. المدرسة التوافقية أو الاحتمالية:

حاولت المدرسة التوافقية أو الاحتمالية أن توفق بين آراء المدرستين الحتمية و الإمكانية فهي لا تؤمن بالحتم المطلق و لا بالإمكانية المطلقة ، وإنما تؤمن بأن الاحتمالات قائمة في بعض البيئات لكي يتعاظم الجانب الطبيعي في مواجهة سلبيات الإنسان و قدراته المحدودة (حتمية).

و في بيئات أخرى يتفاهم دور الإنسان في مواجهة تحديات ومعوقات البيئة (إمكانية)، وهذا يتوقف على نوعية الإنسان من حيث خبراته ، ومهاراته و اتجاهاته البيئية ومشاركاته... الخ، وعلى نوعية البيئة من حيث مواردها و إمكانياتها وسهولة التعامل معها... الخ

وقد صاغ المؤرخ الانجليزي: "ارنولد توينبي أربعة استجابات للعلاقة بين الإنسان و البيئة من خلال الأنشطة

الممارسة وهي:

➤ استجابة سلبية: تتمثل في بيئة الإنسان صاحب حرفتي الجمع و الصيد البدائي، فالإنسان الصياد وجامع الثمار أخذ يؤثر في بيئته تدريجيا بزيادة معرفته وتقدمه، غير أن الأعداد الصغيرة لهذه الجماعات جعلت التأثير السلبي بسيطا نوعا ما .

➤ استجابة التأقلم: أوتي الإنسان ببعض المعرفة فبدأ يتأقلم جزئيا مع ظروف بيئته الطبيعية، واعتمد على الرعي أو الترحال حيث تربية الحيوانات تعتمد على ما توفره الطبيعة من مراعي وموارد المياه ومن ثم استحدثت تغيرات في الجهاز البيئي للحفاظ على تنمية ثروته النباتية و الحيوانية

➤ استجابة ايجابية: وهنا تظهر قدرة الإنسان على تطويع عناصر البيئة الطبيعية الصالحة لاحتياجاته ، وتتمثل تلك في حرفة الزراعة المتطورة والصيد المتطور، وكلها حرف تظهر إمكانيات الإنسان و قدراته وترتب عليها ظهور نظم اجتماعية و اقتصادية في القوى الزراعية لتنظم العلاقات بين أفراد المجتمع بظهور بعض المدن.

➤ استجابة إبداعية: وفيما لا يكتفي الإنسان بمجرد التأقلم و التقليد، بل يبتكر و يبدع ليتفوق على بيئته، ويتمثل ذلك في حرفة الصناعة بذلك استطاع أن يحدث في بيئته من صناعه تغيرات وابتكر مصادر للقوى جعلها طوع إرادته، وبذلك زاد اتساع المدن وكذلك استخدام الطاقة والثروة التكنولوجية.

#### 4. مدرسة التفاعل Interaction:

ترى هذه المدرسة أن هناك تأثير متبادل بين البيئة و مكوناتها ، أي أنه لا يمكن أن تغفل على التأثير المتبادل بين البيئة والإنسان، فالبيئة تؤثر في الإنسان، وهو يؤثر في البيئة عن طريق التغذية المرتدة الخارجية، التي يسري تيارها في بيئتها<sup>2</sup>، وتعد هذه المدرسة أقرب إلى الواقعية و الموضوعية، فقد أكدت على وجود علاقة تفاعلية بين الإنسان والبيئة ، فالواقع يشير إلى أن إشباع احتياجات الإنسان تتم عن طريق تحويل بعض عناصر المنظومة البيئية إلى مصادر ثروة تزيد من درجة إشباعه لاحتياجاته، وهو الذي يحاول جاهدا اكتشاف الجديد لمعالجة العناصر المتوفرة في هذا المحيط بتقنيات جديدة لاستخدامها.تقدم النظرية التفاعلية معطيات تساعد على فهم العلاقة بين البيئة والصحة والمرض.

فالتفاعل بين المنظومات الثلاثة يؤثر بشكل أو بآخر في العوامل المهيئة للصحة أو المسببة للمرض، فالمنظومة الطبيعية تقدم مجموعات من التغيرات الفيزيكية مثل : المناخ و التضاريس، الحرارة، وتقدم المجموعة الاحتمالية عددا من المتغيرات:مثل التعليم والثقافة، والتنشئة الاجتماعية...، و نضم المنظومة التكنولوجية تقنيات حديثة تساعد الفرد على إشباع مختلف حاجاته مثل القدرة على استخدام مياه الشرب النقية...، كما يمكن أن تؤدي هذه التقنيات إلى إحداث بعض الأمراض و أحيانا إلى التلوث البيئي.

والإنسان نفسه واحد من مكونات البيئة يتفاعل مع كل مكوناتها بما في ذلك أقرانه من بني البشر، وهذا يتطلب منه أن يتعامل مع البيئة بعقلانية إنسانية و يستثمرها دون إتلاف أو تدمير.

<sup>2</sup>. (نظيمة أحمد محمود سرحان ، ص 45، 2006)

## محاضرة 05 المشكلات البيئية

يقول الدكتور محمد سعيد الصباريني في مقدمة كتابه حول البيئة ومشكلاتها "الإنسان يضع نفسه خارج إطار أنظمة البيئة ويعتبرها ملكيته الخاصة، فيتصرف فيها كما لو كانت حديقته المنزلية ينظمها وينسقها ويشكلها بالكيفية التي ترضي «ذوقه..» وانطلاق الإنسان في تعامله مع البيئة من هذا الاعتبار يجعل منه «مشكلة للبيئة» بحيث يصدق القول «أنه يستحيل تحديد البيئة المثلى للإنسان إذا كان المرء لا يفكر إلا في نفسه،

والبيئة منذ أن استوطنها الإنسان قبل حوالي أكثر من مليون عام تلي مطالبه وتشبع الكثير من رغباته واحتياجاته وكان من نتائج السعي إلى إشباع مختلف هذه الاحتياجات الزيادة السريعة في السكان و تزايد الضغوط على البيئة الطبيعية ، بالتوسع العمراني والتلويث نتيجة الاستهلاك المفرد لمواردها أدى إلى تجاوز طاقتها على استيعاب النفايات الناتجة من الأنشطة البشرية .وتجاوزت المتطلبات في بعض الحالات بدرجة أصبحت تشكل خطرا على توازن الغلاف الحيوي كما هو الحال بالنسبة لطبقة الأوزون التي تحمي البيئة من أذى الأشعة فوق البنفسجية وزيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون في الهواء وغير ذلك من التغيرات التي انعكست على المناخ ككل.

وننتج عن ذلك تزايد مطرد في أكاسيد الكربون في الجو وثانمها أن الصناعة أصبحت قادرة على إنشاء مركبات كيميائية طارئة على النظم البيئية غريبة عليه أي أن التحولات الطبيعية في دوراتها الطبيعية غير قادرة على استيعابها لان النظم البيئية لا تشتمل على كائنات قادرة على تحليلها وإرجاعها إلى عناصرها الأولى، كما تفعل مع المركبات العضوية الطبيعية، وثالثها أن الإنسان أصبح يعتمد على مصادر أحفورية غير متجددة يستدعي الحرص عند استخراجها ايما حرص .

ونتيجة لهذه الأوضاع وغيرها فقد أنتج التحول الى اعتماد البيئة كمول رئيسي لاحتياجات التنمية البشرية والاقتصادية والتكنولوجية أكبر الأسباب التي تضعف العلاقة بين الصحة العامة و صحة البيئة، من خلال اعتبار البحار والأنهار والأرض أكبر ممرات للنقل والتجارة الدولية بما أخلط التداخل في طبيعة الملوثات ونموذج انتقالها بين الأقاليم والأفراد والكائنات المشكلة للبيئة الطبيعية .

ومن هنا فالحديث عن المشكلات البيئية يطول ويمكن ايجاز أهم المشكلات في نوعين حسب بعض الدراسات :

- كمية:نضوب الموارد (معادن، طاقة)، قطع الأشجار، التصحر، ندرة المياه.

- نوعية:تلوث الهواء (جسيمات، غازات)، تلوث المياه (عضوي، سام)، تلوث التربة، ارتفاع الحرارة، تآكل طبقة الأوزون.

- أوترتيبها على نحو بروزها على المستوى العالمي :

1. الانفجار السكاني (النمو الديمغرافي المتصاعد)

2. التلوث بكل مجالاته (المائي،الهوائي، التربة، السمعي، الكهرومغناطيسي...الخ

3. الحروب والأزمات الاقتصادية التي تؤدي للاستنزاف المفرط وإضعاف البيئة .

4. التصحر والقطع الجائر للثروة الغابية، حفر، حفر الابار....الخ

5. التحالفات الدولية والعسكرية وافتعال الحروب في المناطق الإستراتيجية .

والملاحظ من خلال الدراسة المتأنية للمشكلات البيئية أن عامل واحد من المشكلات قد يؤدي الى تفاقم عدة عوامل أخرى، فمثلا تلويث الهواء بعناصر ثقيلة من معادن وغازات قد يؤدي الى تلويث التربة والتي بدورها تصل الى مياه الشرب وتؤثر على الصحة العامة لكائنات المنطقة وهي بدورها تصل في اطار السلسلة الغذائية للإنسان مما قد يؤدي الى التسمم الغذائي أو التغيير الجيني الذي تشهده الأجيال الحالية نتيجة التغييرات الحاصلة على غرار توسعة استعمال المبيدات الحشرية في الطبيعة ومكوناتها .

وعليه وجب تفعيل الترسانة القانونية لحماية البيئة، خاصة منها المتاخمة للجوار وأهمها البحار ومصبات الأنهار ووقف التوسع على المناطق المحمية قانونا محليا ودوليا وحماية التراث .

وفي الخير يمكن القول أن تفعيل ثلاثية الحماية ( علم، قانون، تعليم وتربية) بدعم من شبكة اعلامية واتصال فعال في هذا الشأن قد يخدم البيئة والتنمية المستدامة الى أبعد الحدود.